Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القدامى وبين فلاسفة المعرفة المعاصرين. وتحقيقاً لهذا، يمكن صياغة التناسب التالي: نسبة علماء الكلام إلى الإلهيات كنسبة علماء المعرفة إلى الأبستمولوجيا؛ وعلى أساس هذا يمكن أن يصاغ ما يلي: علماء الكلام هم علماء المعرفة، والإلهيات هي الإبستمولوجيا. وفي ضوء هاتين الاستعارتين نصوغ استعارة أخرى؛ وهي: الحشوية والتشبيهية والمجسمة هم بمثابة الاتجاه المعرفي الوضعاني المعاصر ـ باعتبار أن النموذج التشبيهي رفَضَهُ القدماء والمحدثون لأنه يماهي بين الإنسان والإله فإن الاتجاه الوضعاني مرفوض حديثاً لأنه لا يعتبر إلا الأنواع الطبيعية المحددة بمجموعة خصائص جوهرية تشرك فيها أشخاصاً. . . قد يقال إن هذا مجرد هرطقة لأن الاتجاهات التشبيهية ليست هي الاتجاه الوضعاني، ونحن نعي هذا، ولكننا في مجال المقايسة ومهما مالت إحدى كفتيها فإن هناك موزوناً يجمع بينهما. إذ كثير من الاتجاهات الإبستمولوجية المعاصرة هي علم كلام جديد. وقد يكون إلهُها هو الحاسوب بذاته وصفاته وأفعاله.

إن النموذج التشبيهي ـ الوضعاني مفقر للفكر وللمعرفة، ولذلك فإن الاتجاه التجرباني جاء ليزيل بؤسه، فهو إذْ يعتبر حضور الكائنات والكيانات والأشياء في العالم الخارجي من جهة، فإنه يعتبر تفاعل الجسم مع المحيط والأنظمة المعرفية والكفاية التخييلية المبتدعة للمقولات من جهة ثانية؛ فالإنسان بما أوتي من كفايات بيولوجية وعلمية ونفسانية جعلت منه كائناً شاهداً على نفسه وَقَائِساً ما غاب عليه، وهو في كلتا الحالتين يبدع ليهيمن على الطبيعة ولكنه يصير مُهَيْمَناً عليه بما ابتدعه. تشده بعض مؤهلاته إلى محيطه ويدفعه بعضها إلى التشوف إلى الأعلى؛ فهو وساطة بين المحسوسات والمتعالي.

قد يكتفي بهذه النماذج الثلاثة ويترك النموذج المطلق لعلاّم الغيوب لأن كل حديث عنه مهما بلغت دقته وعمقه يؤدي إلى نوع من التجسيم وإن لم يكن ظاهراً فإنه يكون خَفِياً. إن السلف توقفوا، وموقفهم أسلم وأتقى، ولكننا نرى أنه يحول بين الإنسان وبين استغلال كِفَاياته التخييلية والإبداعية التي تفتح له آفاقاً شاسعة، فلربما يمكن الزعم أن البحث فيما وراء الطبيعة كانت له نتائج ملموسة على البحث في الطبيعة مما أدى إلى اختراعات واكتشافات جديدة أدت إلى مزيد من توحيد الله وتنزيهه والإيمان بدقة صنعه[3-1].

(3-1) لعل البحث في دور الميتافيزيقا في تطور العلم، ودور العلم في خلق ميتافيزيقا كفيل بإلقاء الأضواء على سر الإبداعات البشرية.